٥ ٧١١

مكتبتى ٥٠

الحمار مطربا

تأليف : دكتورة منى عثمان
رسوم : منال بدران

دار المعارف

تصميم الغلاف
محمد أبو طالب

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٧٧-٥٧٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إعداد الماكيت: أماني والي

فِى قديمِ الزَّمان كانَ هناكَ مزارعٌ مجتهدٌ اسْمه عَمَّ صَابر.. يعيشُ مَعَ زَوْجتِهِ الطَّيبةِ فى مزرعةٍ صَغيرةٍ يزرعَانِها بالغلال، وبالرغمِ منَ العملِ الشاقِّ والربحِ القليلِ، كانَا سعداء فى حياتهمَا ولاينقُصهمَا إلا شىءٌ واحدٌ وهو الأبنَاء.. فقد كان عم صَابر وزوجتُه يُصلِّيَانِ ويدْعوَانِ الله كثيرًا بأن يَرزُقهمَا بطفلٍ واحدٍ ولو بحجمِ الإصبع.. وأخيرًا استجابَ اللَّه لهما وَرزَقهمًا بولدٍ جَميل وكان فعلاً بحجم الإصبع لكنهمَا كانا سعيدين به جِـدًّا وشكرا الله كثيرًا علِى نعمته وأطْلقَا عليه اسم خالد.. كَبرَ خَالد، وكانَ وَلَدًا مُؤدبًا جَميلاً ذكيًّا جِدًّا مُطيعًا لِوَالديْه.. وتَكَتَّمَ الوالدَانِ خبرَ الإنجاب لهذا الطِّفل خوفًا من سُخريةِ الناس، وكانَ برغمِ حجْمه الصَّغير، يحاولُ مُسَاعدة والديْهِ بأيَّةِ طرِيقةٍ يَسْتطيعهَا. وفى كُلِّ يومٍ كَانَ صَابر يرجِعُ مِنَ الحقلِ رَاكبًا ظَهْر الحمَار، وخَالدٌ يَهْمِسُ فى أذُنِ الحِمَار ويغنِّى بصَوْتٍ جَميلٍ؛ ليسْعِدَ أباه ويُؤنِسَه فِى طَرِيقِ العَوْدَة.. وكانَ الناسُ ينْظُرُونَ - بدَهْشةٍ - إلى الحِمَارِ مُعْتقدينَ أنه هُوَ الذِى يُغَنِّى ويتعجَّبُونَ ، ويضحَكُ والِدُ خَالد،وَلَكِنه لا يفصحُ لَهم عَنْ حَقيقة وَلَدِه الصَّغِير، حتَّى لا يتهَكَّمُونَ ويسْخرونَ مِنْه.. وشَاعَ فى القريةِ أنَّ

حِمَارَ صَابر يُغَنِّى بصوْتٍ عَذْبٍ جميل، حَتَّى أَنَّ أخبارَ الحِمارِ المطْربِ شَاعَت فى أنحَاءِ القُرَى المُجَاوِرَة.. وكانَ فى إحْدَى القُرى البعيدَةِ، ملكٌ ظالمٌ طمَّاعٌ، اسْمه شرهان لايفكِّرُ فِى مَصْلحةِ شَعْبِهِ، وإنمَا يفكرُ فِى مُتعِه الخَاصَّة، واقتِنَاء الأشياءِ العجَيبةِ الَّتِى يجْمعهَا مِنْ شَتَّى أنحَاءِ البِلاَدِ جَاعِلاً مِنْ قَصْرِه تحفَةً منْ أجْمَلِ التحفِ الَّتِى وقعَتْ عليهَا عينُ إنسَان، ومَمْلوء بكلِّ عجَائِبِ الدُّنيا وغَرَائبهَا. أرسَلَ هذَا الملكُ اثنيْنِ مِنْ جُنُوده، الغِلاَظِ القُسَاةِ؛ ليبْحَثَا عَنِ الحمارِ المطْرِب، ويُحْضراهُ فى أسْرعِ وقْتٍ. وفِى هَذِه الأثناءِ كانَ خَالد وَوَالِداهُ يلتفُّونَ حولَ عَشَائهم البسِيطِ، ويتجاذبُونَ أطْرَافَ الحَديثِ، فبالرغْمِ منْ فقْرِهم إلاَّ أنهم كَانُوا سُعَدَاء بحيَاتِهِم، وكانَ خالد ولدًا ذَكيًّا مفكرًا، دائمًا يُفكرُ فِى الناسِ المسَاكِينِ، وكيفَ يتخَلَّصُ منْ هذَا الحَاكمِ الظَّالمِ الذِى لا يهتمُّ بمصْلحَةِ شَعْبه.

حَكى والدُ خَالد لابنه: كيفَ أنَّ أحَدَ المزارِعينَ المسَاكين، بعدَ اجتهَادِه وَتَعبه فِى زراعَةِ البطَاطَا الحلْوة، كَافَأَه اللَّهُ بثمَارِ بطاطَا عَجِيبة، كَانَت تَسْتطيلُ لتأْخُذَ أشكالاً جَميلةً مثل القِطَطِ والأرانبِ والعرائِسِ حتَّى أنَّ الأطفالَ كَانُوا

يبتهِجُونَ لرؤيتهَا كثيرًا، وكَانُوا يلتهِمُونَ منهَا كميَّاتٍ كَبيرةٍ، عندمَا تقدمهَا لَهُمْ أمهَاتُهم مَشْوِيَّةً بعدَ أنْ كَانُوا يرفُضُونَ تناولهَا تمَامًا، فأصبحُوا من مَوْفُورِى الصحَّةِ وَالنَّشَاط.

فَمَا كانَ منَ الملكِ الظالمِ إلاَّ أنْ أرسلَ مجْموعةً مِنْ أعْوانِهِ ليقْتَلِعُوا كلَّ ثمارِ البطاطَا منَ الحقْل، وغرسُوهَا فى حقلِ المَلِكِ تاركينَ الفلاَّحَ المسْكينَ يبْكِى ضياعَ محْصُوله وتَعَبِه. وكانَ خَالد يَذْكرُ جيدًا جَارَهُم الذِى رزَقَه الله بتوْأمٍ بنتيْنِ هُمَا: رِيم ولَيْلى وَهُمَا فى غَايَةِ الجمَالِ والأدب، لَقَدْ حَبَاهُمَا الله بموْهبةٍ ليسَ لَهَا مَثِيل . . فَبالرغْمِ منْ صغرِ سِنِّهمَا، كانتا تَسْتَطيعَانِ صِنَاعَةَ الملابسِ الجميلَةِ، وصناعَةَ الحَلْوَى اللَّذِيذَةَ وبإتْقَانٍ بَالِغ، وتقومَان كذلك بأعمَالِ المنزلِ منْ نظافَةٍ وطَهْى فِى أقلِّ وقْتٍ مُمْكن.

ودَرَّ ذلكَ ربحًا وفيرًا عَلى والديْهِمَا منْ بَيْعِ الحلْوَى والمَلاَبِس لأَهْلِ القُرى المُجَاورة. فَمَا كَانَ مِنَ الملكِ إلاَّ أنْ أرسلَ جنُودَه وأخذَ البِنْتَيْنَ إلى قصْرِه كالخَادِمَات، تاركًا الوالدَيْنِ فِى أشدِّ حَالاَتِ الكَرْبِ والأَسَى والفَقْر.

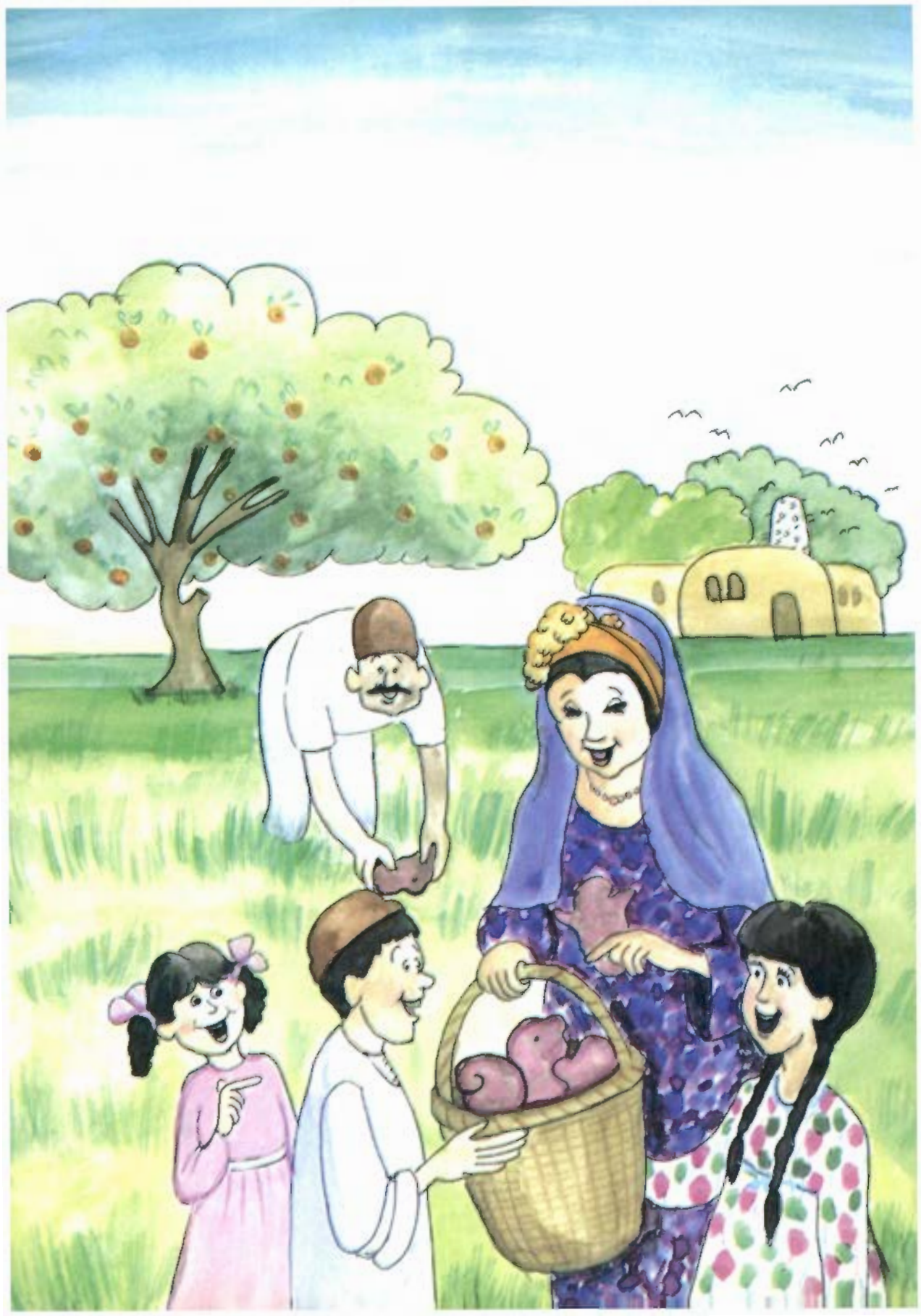

وعَلى الطَّرفِ الآخَرِ، كَان هُنَاكَ قصرُ الملكِ - الموجُودِ فوقَ التَّل - الممتَلِئ بكُلِّ أنْوَاعِ الطُّيورِ المغرِّدة، والأَشْجار النَّادِرَة الَّتى ترقُصُ عَلى أصْوَاتِ الطُّيورِ، وتُلْقِى ثِمارَهَا الشَّهِيّة للناسِ حتَّى تَخَال أنَّ الدنيا كُلَّهَا تَضْحكُ، ولذلكَ سُمِّىَ بالقصْرِ السَّعِيد.. وكَانَ هذا القصْرُ مَمْلُوكًا لأحدِ شبَابِ القريَةِ الطَّيِّبينَ، وكانَ يَعِيشُ فيهِ معَ زوْجَتِهِ الجميلةِ.. ولكنَّ الملكَ شرهان أرسَلَ جُنُودَه -كالعَادَة - واسْتَولَى عَلى القصرِ ووضَعَ صَاحِبَه فِى السِّجن، واخْتفَت الزوجَةُ الشَّابةُ ولَمْ يَعْرفْ مكَانَهَا أحَدٌ منذُ زمَنٍ بَعِيد.

وبينمَا خَالِدٌ حَزينًا وهو ينصِتُ لوالِدِه، الذِى يَحْكِى له هَذِه القِصَصَ، هَزَّ الأب رَأسَه حُزنًا، ونظَرَ لخَالدٍ قائلاً:

تأكَّدْ يَا ولَدِى أنَّ الله لابدَّ أنْ يقتصَّ منَ الظالمِ وَلَوْ بعدَ حِين. ولكنْ علينَا أن نصْبِرَ حتَّى لانَقَع فِى براثِنِ هَذَا الطَّاغِية.

وفجأةً قطعَ كَلاَمهما طرقَاتٌ عَنِيفةٌ عَلى البَاب، قفزَ خالدٌ مَذْعُورًا،ونَظَرَتِ الأُمُّ مِنْ ثُقبِ البابِ،وظَهَرَ الخَوْفُ عَلى وجهِهَا وقالت لزوجهَا: إنَّهُم جنودُ المَلك شرهان.

ضربَ عَمٌّ صَابر جَبينَه بيَدِه وقالَ بِأَسَى: هذَا ما كنتُ أخْشَاه لَقَدْ أتوا ليأخُذُوا الحِمَارَ المُطْرِب!!

قَالَ خَالد بسُرعَة: لاتحزنْ يَا أبى، دعْهُم يأْخُذوه، وسأَكُونُ هناكَ داخِلَ القصرِ لأعرفَ الكثيرَ، وإنْ شَاء الله سأكونُ سببًا فى خَلاَصِ هذَا الشعبِ المسْكِينِ رغمَ حَجْمى الصَّغير الذِى لا يُصَدِّقه أحَد.

فتحَ عم صَابر البابَ وقلبُهُ يكَادُ يقفزُ مِنَ الرعبِ منْ منظرِ القسوةِ والفِلْظة فى عُيُون هَؤلاء الأشرَارِ، وبسرعةٍ أشَارَ إلى الإسْطبلِ حيثُ يرقدُ الحِمَار، ولم يلحظْ أحدٌ أن خالدًا قد اختفَى فِى أذُنهِ.. وبسرعةٍ سحبَ الجنودُ الحمارَ وَرَاءهم ودُمُوع أم خَالد وأبيه تترَقْرَقُ مِنْ عُيُونهما لخَوْفِهِم عَلى صَغِيرِهم.. ومَا كَادَ الملكُ شرهان يَرَى الحمارَ حتَّى طَارَ فرحًا، وأمرَ بإقامَةِ حفْلٍ دَعَى إليْهِ كُلَّ الوزراءِ والأمراءِ، ليستَمِعُوا لغِناءِ الحِمَار. وفِى الحفْلِ كانَ خَالد ينظرُ إلى المَدْعُوِّينَ المتَأنقينَ فِى مَلاَبسِهم، وإلى الموَائِدِ العامِرَةِ بكُلِّ مَا لَذَّ وطَابَ، ويتذكَّرُ أهلَ القريةِ البؤَسَاء الذِينَ يكْدَحُونَ النهارَ كُلَّه ولا يكادُونَ يَجِدونَ الطعامَ الَّذِى يُشْبعُهمْ. وشعَرَ بالغيظِ الشَّديدِ وأخذَ يفكرُ فِى طَرِيقةٍ للتخلُّصِ منْ هؤلاءِ الأشْرَار، وكالمتَّبعِ غَنَّى

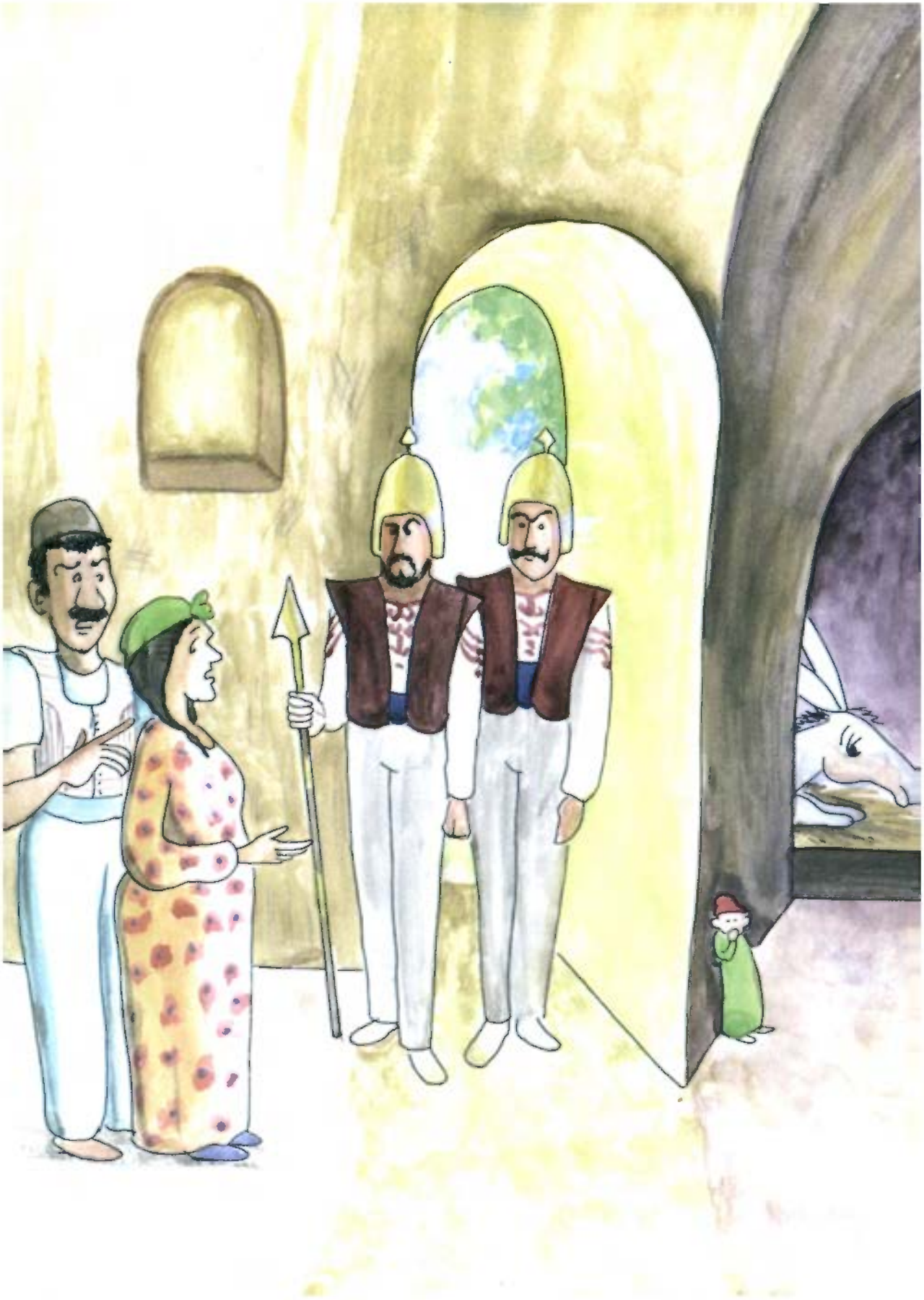

خالد أغنيةً جَميلةً سَعِدَ بهَا كلُّ منْ فِى الحفْلِ وصَفَّقُوا طَوِيلاً للحِمَارِ ظَانِّينَ أنه هُوَ الذِى غَنَّى..

وعندمَا هَمَّ الحرسُ بأخْذِ الحمَارِ إلى الإسْطَبلِ، لمَحَ خَالد الفَتَاتيْنِ الجَمِيلتيْنِ، ريم وليلى تحملَانِ أكوابَ العصيرِ، وَتَدُورَانِ بهَا عَلى المَدْعُوِّين.. فَخَفَقَ قَلْبُه سَرِيعًا، وأرادَ أنْ يُنَادى عليهمَا، ولكنَّه خَافَ انكِشَاف أمْره وَلاَذَ بالصَّمْت، وَقَلْبه يَعْتصِرُه الحُزْن..

وَفِى الإسْطَبْلِ عندَما هَدَأت الحركةُ، وعَمَّ الصَّمْتُ، علِمَ خَالدٌ أنَّ الحفلَ انتهَى والمدْعُوِّينَ انصرفُوا، فتسَلَّلَ خَارِجَ الإسْطَبْلِ بحَذَرٍ حَتَّى وَصَلَ إلى القصْرِ ودخَلَ القاعَةَ التِى كان بهَا الحفلُ، فوجَدَ الفتَاتَيْنِ تُنَظِّفَانِ المكانَ وقَدْ بَدَا الإعيَاءُ جَلِيًّا عَلى وَجْهَيْهِمَا.. فَنَادَى عليهما: ليلى.. ريم.. تَلَفَّتَت الفتاتَانِ بدَهْشةٍ واستِغْرَابٍ، فَلاَ أحَدَ هُنَا يُنَادِيهمَا بأسْمَائِهِمَا، ولكنْ دَائِمًا يُنَادُونَهُمَا يابنْت..يَاخَادِمَة .. فكررَ خَالد النِّدَاءَ بحَذَرٍ، نظرَت الفتاتَانِ لبعضِهِمَا، ثُمَّ دَارت عُيُونهما فى المكَانِ تبحَثَانِ عَن مَصْدرِ الصَّوت، فجَرَى خَالد إليهمَا بسُرعةٍ، مُشيرًا إليهِمَا بالصَّمْتِ التَّام حَتَّى لاينكشِفَ أمْرُهم. عَلَتِ الدهْشَةُ وجْهَ الفتاتيْنِ، ثُمَّ ضَحِكَتَا بفَرَحٍ منْ شكْلِ الوَلَدِ الصَّغيرِ بحجْمِ الإصْبَع.. وسَألته ليلى بهمْسٍ قائلةِ:

كيفَ عَرفْتَ أسْماءنَا؟.. همسَ خَالد اتبعَانِى للخَارِج .
وَفِى حَدِيقةِ القَصرِ قَصَّ عليهمَا خَالد بسُرعةٍ كيفَ أخْفَى والدُه مولْدَه عَنِ الناسِ حَتَّى لايسْخَرونَ منه، رغْمَ أنه يَرَى ويعرِفُ كُلَّ مايدورُ فِى القَرْيَة.. توسَّلَت إليْه الصَّغِيرتَانِ ليُسَاعِدهُمَا على الهربِ والرجُوعِ إلى أهْلِهِما ولكنَّه قَال.. لَافائِدَةَ مِنْ ذلكَ لأنهُمْ سيَعْملونَ عَلى إعَادَتكمَا مَرةً أخْرى، وسينْزِلُونَ العقابَ الشَّدِيدَ عَليْكمَا. فصَاحَتْ ريم والدُّمُوعُ فِى عَيْنَيْهَا.. قائلةً:

هلْ سنظلُّ هنَا إلى الأَبَد؟

ربَتَ خالدٌ عَلى يدِهَا وقال:

لا، ولكنْ لابدَّ منْ إعدادِ خُطَّة تُنَفَّذ بدقةٍ لنتخَلَّصَ منْ هَذَا المَلِك الغَاشِمِ وجُنُودِه. ونظرَ إلى الاثْنتيْنِ.. وقَال:

مَا رَأيكمَا؟ نَتعَاونُ معًا؟..

وافَقَت الفتاتَانِ بفرحَةٍ شَدِيدَةٍ فقالَ لهمَا خالد:

والآنَ يجبُ أنْ تعودَا لمكَانكمَا وتنجِزَا عَمَلكمَا حَتَّى لايشُكَّ أحَدٌ فِي الأمْرِ.. ولكن انتبهَا جيدًا لكلِّ كلمةٍ تُقَالُ وَتُبلِّغَانِى بهَا أوَّلاً بأوَّلٍ، وغدًا نتقابلُ فِى نَفْسِ المَكَان.

وفِى هَذِه اللَّيلةِ صَلَّى خَالد وريم وليلى وتَضَرَّعُوا فيهَا إلى الله بأَنْ ينصرَهُم عَلى الملكِ الطَّاغِيَة، ثُم نامُوا وبدَاخِلهم يَقِينٌ بأَنَّ الله سيَسْتَجيبُ لدُعَائِهِم.

وفِى اليومِ التَّالِى عندمَا كانتْ ريم تقومُ بِالخدمَةِ عَلى مَائدَةِ الغداءِ للمَلكِ، سَمِعت المَلِكَ يتحَاوَرُ مَعَ زوجَتِه - المغْرُورة - ويُخبرهَا بأَنَّ الملِكَ العادِلَ الذِى يحكمُ البلادَ المجَاوِرَةَ ، سوفَ يأتى لزِيَارَة بلاَدِهم زِيارَةً رَسْمِيَّةً فى اليومِ التَّالِى، وكَانَا يتحَاورانِ بشأْنِ مَرَاسِمِ الاسْتقبَالِ والمَلاَبس. لِذَلكَ عندمَا عَمَّ الظلامُ تظَاهَرت ريم بأَنَّهَا تقومُ بغَسْلِ الأوَانِى فى مَكَانٍ قريبٍ مِنَ الإسْطَبل ، وتسلَّلت داخلَ الإسطبْل وأخبرَتْ خالدًا بمَا سَمِعَتْه.

تعجَّبَ خَالد جِدًّا، لأَنَّ ملكَ البلادِ المُجَاوِرةِ مَشْهورٌ بالعدْل والشَّهَامةِ والطِّيبة، وكانَ دَائِم التَّصْريحِ عَلى المَلأ بكَرَاهيته لأسْلُوب المَلك الطمَّاع وظُلْمِه لشعْبِه.. فَقَالَ خَالد فِى نفْسِه إذَنْ ما الذِى جَعَله يزورُ هذِه البلاَد؟! وكانَ خَالد منَ الذكاءِ؛ لأنه توقَّعَ-طبعًا- سُوءَ نيَّةِ الملكِ شرهان منْ هَذِه الزِّيَارَةِ المفاجئة،فنَبَّه ريم لضرورةِ رصْدِ

كُلِّ لمحَةٍ وكُلِّ حركةٍ، وأنْ تسمعَ جَيِّدًا كُلَّ مَا يُقَال؛ حَتَّى يُمْكنه إنْقَاذ هَذَا الملكَ العادِلَ المخدوعَ.

وفِى اليوم التَّالى، كَانت الفتَاتَان تُجهِّزانِ المطبخَ لإعدادِ أفْخَمِ أنوَاع الحَلْوى، والأطعمَةِ التِى تُجِيدَانِ صُنْعها. وقبلَ أنْ يَبْدأ بدقَائقَ دخَلَت زوجةُ الملكِ المَغْرورةِ وهى تتصنَّعُ اللُّطفَ، وابتسَامة صفْرَاء مُزَيَّفة تعلُو وجْهَهَا وقالت:

- أيتهَا الفتاتَانِ اللَّطِيفَتَان إنَّ ضُيُوفَ اليوم يحبونَ طَعامَهُم بتوابلَ ونكَهَاتٍ مُخْتلفةٍ، فأرجُوكمَا وَضْع هَذِه البُودْرة فِى كُلِّ أصنافِ الطَّعَام حَتَّى يَطِيبَ مَذَاقُه لضيوفنَا الأعزَّاء.. ونَاولتهمَا زجَاجةً بِهَا بُودْرَة صَفْراء اللَّون، وانْصَرَفتْ وَهِىَ تضحَكُ بِابتهَاج.

نظرَت الفتاتانِ لبعضهِمَا ثُمَّ فَتحَتْ ريم الزجاجَةَ وتَناوَلَت قطعةً مِنَ الجبنِ وَنَثَرَت عليهَا قَلِيلاً منَ البودرةِ، وأطْعمتهَا للقطَّةِ فَمَا هى إلاَّ دقائقُ، وكَانت القطةُ غَارقةً فِى نَوْمٍ عَمِيق.

وعلى الفَوْر فهِمَت الفتاتَانِ الخدعَةَ التِى يريدُ الملكُ والمَلِكةُ أنْ يخدعَا بِها الملكَ الطَّيِّب.. وبدلاً مِن خَلْطِهَا بالأطعمةِ التِى سَيَتناولهَا الضُّيوف، قَامتَا بخَلْطها بالغداءِ الذِى يحبُّ أنْ يتناولَه الملكُ والملكَة إضَافةً إلى أتباعهما الظَّالِمين.

وبعدَ الغداء مَاهِى إلاَّدقائِقُ حَتَّى خَيَّمَ السكونُ على المكانِ وراح الجميعُ فِى نومٍ عَمِيق ماعَدَا الفَتَاتيْنِ ريم وليلى حيثُ إنهمَا فَرَّا إلى الإسْطَبْل لإخْبَارِ خالد بكلِّ ماحَدَث، فانزعجَ جدًّا لأنهمَا لمْ تَأْخُذا بَرأيه حَسَب اتفَاقِه معهمَا، قائلاً: ألمْ تُفكِّرَا فيما سيحدثُ لكُمَا عندمَا يسْتيقِظُونَ؟!! لاَبدَّ مِنَ الهربِ بسُرْعة.

وعَلى الفورِ اصطحَبُوا الحمَارَ المطرِبَ ودَخلَ خَالد فى أذنة بسرعةٍ، وجلسَت الفتاتانِ عَلى ظهْرِه وانْطلقُوا جميعًا هَاربينَ إلىَ أرضِ الله الواسِعَةِ لايعلمُونَ إلى أينَ يذْهَبُون؟ صَاحَت ريم أريدُ الذَّهَابَ إلى أمى وأبى، فصَاحَ خَالد قائِلاً: عندما يستيقظُ الملكُ سيأمرُ رجَالَه بالبحثِ عنكمَا، وسيوقِّعُ أقصَى العقوبَة عليكمَا وعَلى أهلكمَا.. هيَّا.. هيَّا.. انطلقَ الحمارُ حامِلاً الأطفالَ الثَّلاَثة..

وفى الطريقِ وجدُوا مساحةً كَثيفةً مِنْ أشجَارِ القَرْعِ العَسَلى، كانتْ تلمعُ بِصُفْرتهَا الفاقعَةِ تحتَ أشعَّةِ الشَّمس.. وكانَ الجوعُ قَدْ أخذَ منهم مَأْخذًا.. استدارت ريم قائلةً.. هلْ نستطيعُ أنْ نأكلهَا نَيِّئَة ؟ أسرعَ خالد إلى إحْدَى الثمَارِ قائلاً: بعضُ الشعُوبِ تأكلهَا نَيِّئَة، وقَدْ قَالَ أحدُ الحكماءِ

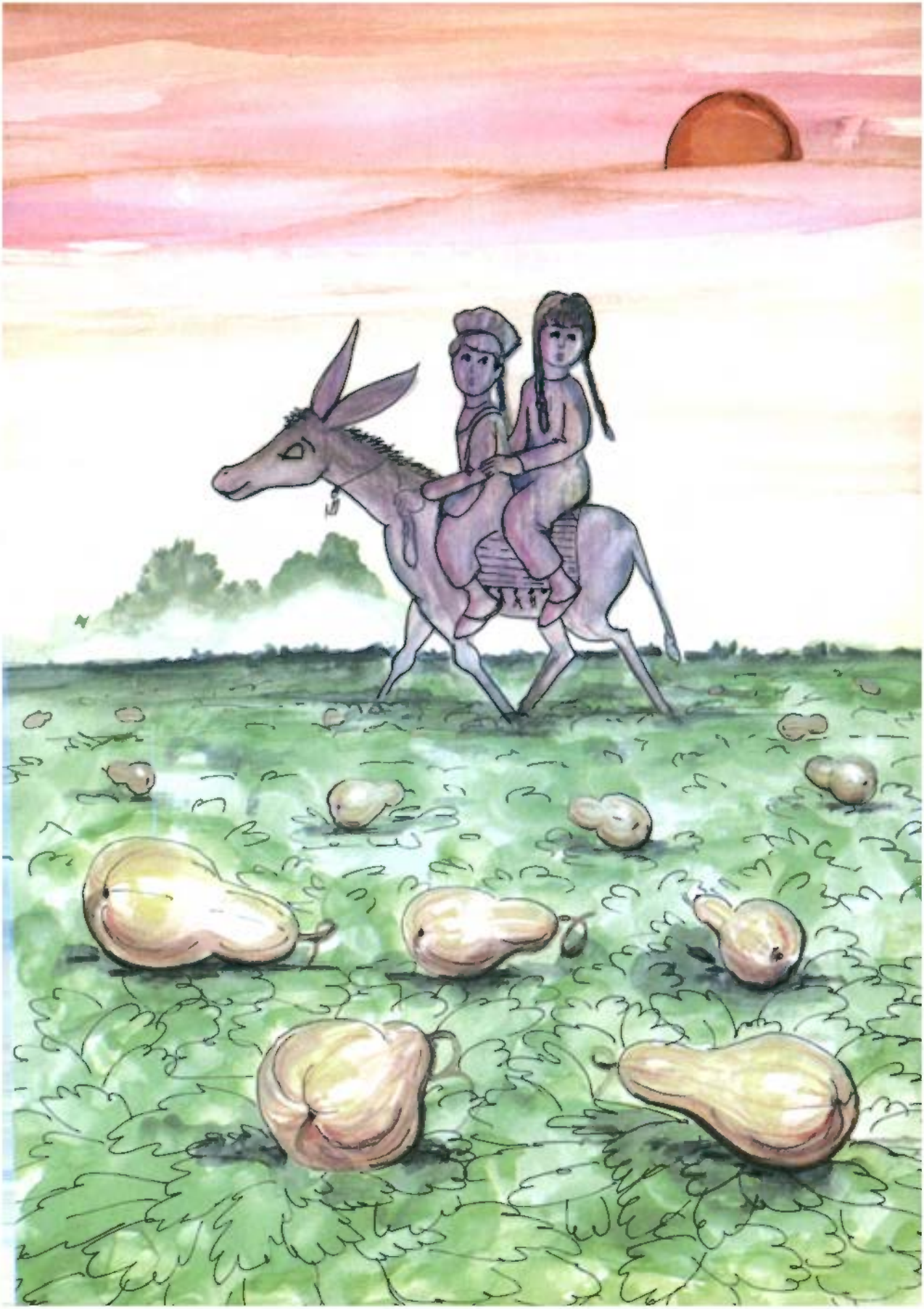

إنَّ بذورَهَا تفيدُ فِى تَقْوِيةِ الذَّاكرة، والثمرةُ تحتوِى عَلى بعضِ العصارَاتِ الَّتى تُقَوِّى القلبَ.

أجَابت ليلى قائلةً:إذَنْ أعطِنِى شَرِيحةً منهَا حَتَّى أتحملَ فراقَ أبى وأمى.. فصاحَت فيهَا ريم ألاَ تَكُفِّينَ عَنْ ترديدِ هَذِه الكَلِمَات، ثُمَّ رَبَتَت عَلى رأسِهَا واحتَضَنَتْهَا قَائِلَةً: لابدَّ منَ الصبرِ ياحَبيبتى.. واسْتدَارَت لخَالد قائلةً: إنَّ هَذِه الشجرةَ لهَا عائلةٌ أخرى مُشابهَة لَهَا فى نفْسِ الفَائِدَةِ وَهى الكُوسةُ التِى لا يحبُّ الكثيرونَ أكلهَا . للأسفِ لا يعرفُونَ الفوائدَ الجَمَّة فِى هَذِه النَّبْتَةِ البَسِيطَة . أسرعَ خالد وأخذَ يحفرُ فِى الأرْضِ فقالت له الفتاتانِ بقَلَق بَالغٍ: مَاذَا تفعلُ الآن؟ أسرعْ أسرعْ.. فالتفتَ إلى الفتاتيْنِ قَائِلاً: اغرسَا بعضَ البذُورِ لِتنْبتَ شجَرَةً جَدِيدَة. صَاحَت ليلى بضَجَرٍ: أهذَا وَقْته.. نَهَضَ خالد بعد أن انتهَى منْ عَمَله وقَفزَ بسُرعة داخِلَ أذنِ الحِمَارِ قائلاً : هذَا لا يضيِّعُ وقْتًا.. هَذَا أفضلُ عملٍ يقومُ بِه إنسَان.

ثمَّ انْطَلقُوا فى طَرِيقِهِم، وعندَ بُزُوغِ الفجرِ استيقظَ الأطفالُ، وكَانَ الحمارُ المِسْكينُ طِيلَةَ اللَّيل، يَحُثُّ الخُطَى ليبتعِدَ عَنِ المَدِينَة.. فَأَوقَفُوا الحمَارَ ونزلُوا ليستريحُوا، وكانوا يشعرونَ بالعطَش الشَّدِيدِ، فَمَشَوْا قليلاً، ولمْ

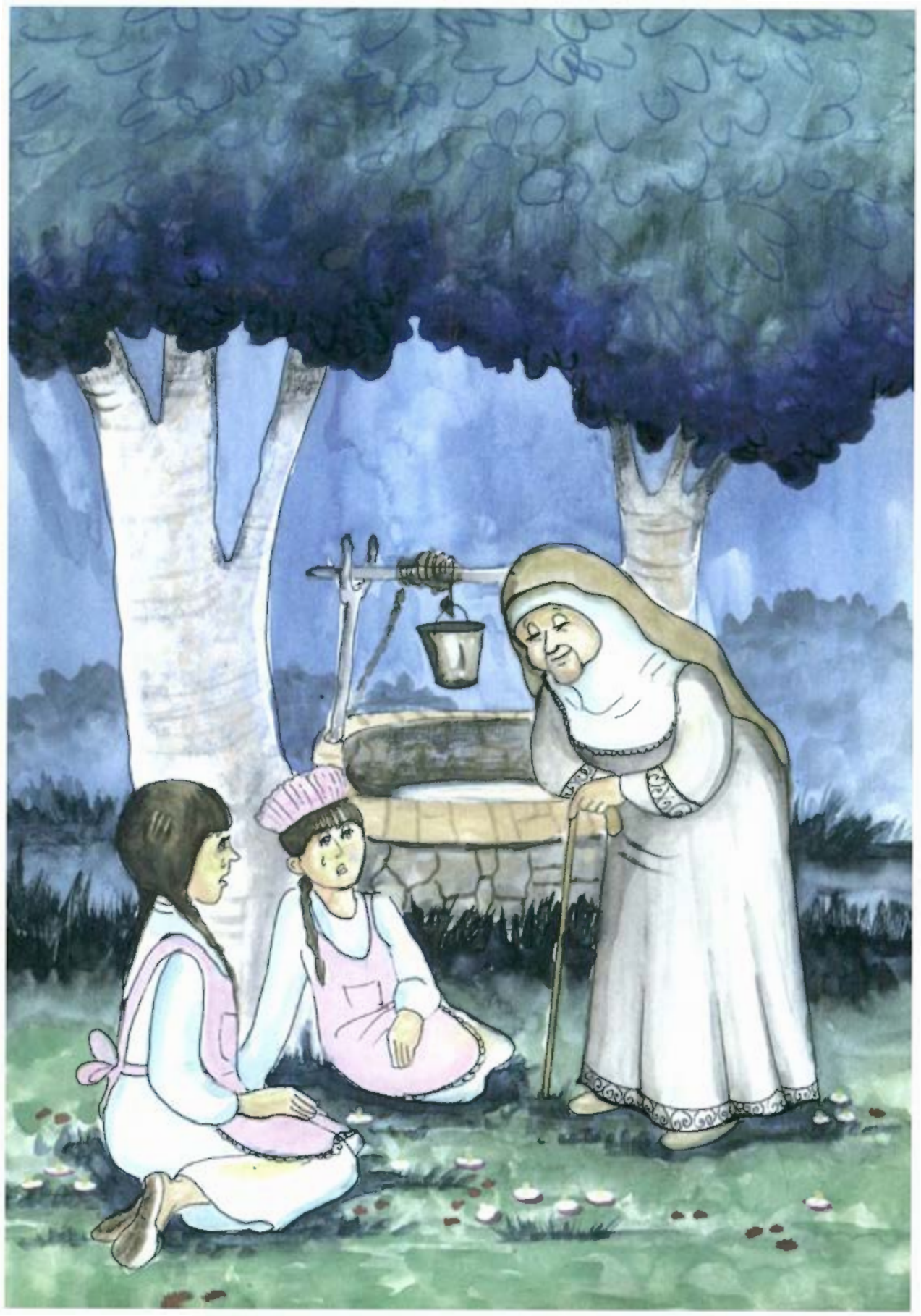

يَطُل بَحْثُهُم، حَتَّى وصَلُوا إلى بُسْتانٍ صغيرٍ به بئرُ مَاء، فأخَذُوا يَشْربُون حَتَّى ارتَوُوا، ثم ارتَمُوا بجانب الأشجارِ فى الظِّلالِ ليسْتَرِيحُوا. ولم تمضِ دقائِقُ حَتَّى سَمِعُوا أصْوَاتًا تمْشِى عَلى الأعوَادِ الجافة فانتبهُوا مَذْعُورين، فوجَدُوا أمَامهم امرأةً مُسِنةً تستندُ إلى عَصَا، وعَلى وجهِهَا ابتسامةٌ طيبةٌ. سارعَت ريم تقولُ آسِفينَ ياسيِّدَتى عَلى دُخُولنَا وشُرْبنَا للمَاءِ بدُونِ استِئْذَان، فأجَابت العجوزُ: لاعليكِ ياابْنَتِى اشربُوا كَمَاتُرِيدُونَ، وإذَا أردتُم الراحةَ فتعَالَوْا إلى دَاخِلِ بيتى الصَّغيرِ حتَّى استأنسَ بِكُم وآتيكُم ببعضِ الفَوَاكه مِنْ بُسْتَانِى. تَبِعَ الثلاثةُ العجوزَ إلى داخلِ بيتِهَا، بعدَ أنْ تركُوا حِمَارَهم فِى أحدِ أركَانِ المزرعَةِ، ووضَعُوا أمَامه كُومةً منَ الأعشَاب.

قَدَّمَت لَهُم العجوزُ أصْنَافًا شَتَّى منَ الفواكِهِ الطَّازجَة، ومدَّت يدهَا بثمرَةِ بُرْتقالٍ قائلةً لريم: هَذِه البرتقالةُ تحتوى عَلى فيتَامين ((س)) الذِى لابدَّ مِنَ تَناوُله كُل يَوْم؛ لأنه لايُخْتزَنُ بالجسْم وهُوَ مُفِيد، وَيُقَلل مِنْ نَزَلاَتِ البردِ ويؤدِّى لنشَاطِ الجِسْم .

ثُمَّ سألتهَا ليلى مبتسِمَةً: مَا هِى أغْنَى ثَمَرة بفيتامين ((س)) فأشَارتِ العجوزُ منَ النَّافِذَةِ لشجَرةِ الفُلْفُلِ الرُّومى.. وَقَالت:

إنَّ قَرْنَ الفلفلِ هّذا يحتوى عَلى أضعافِ كميَّة فيتَامِين ((س)) الموجُودَةِ بالبرْتُقَال . تعجَّبَ الأطفالُ الثلاثةُ، ورَاحَت العجوزُ تقصُّ عَليهم كيفَ أنهَا تعيشُ وَحيدَةً معَ أحدِ الخدمِ، وأنه يذهبُ كُلَّ أسبوعٍ مرةً إلى المدينةِ؛ ليحضرَ بعضَ الضروريَّاتِ، ولكنه تأخَّرَ هَذِه المرَّةَ وتخشَى أنْ يكونَ قد أصَابه مَكْروه. ثم تَنَهَّدت وقَالت: كَانَ لى زوجٌ طيبٌ وقصرٌ كبيرٌ بالقريةِ اسمه ((القصْر السَّعيد)) أخَذَه الملِكُ شرهان وسجَنَ زوجِى ثُمَّ سَكَتت والحُزْنُ يَعْتصِرُ قلبهَا.

التَفَتت العجُوزُ إلى الفتاتيْنِ؛ لأنها لمْ تستطِعْ أنْ ترى خَالِدًا؛ فقدْ كانَ نظرهَا ضعيفًا جدًّا، ثُمَّ قالتْ لهمَا: ولكنكمَا لَمْ تخبِرَانِى قِصَّتكمَا، مَا الَّذِى أتَى بكمَا إلى هَذِه البقعَةِ البعيدَة وحدكمَا وأنتمَا طِفلتَانِ صَغِيرتَان؟!

وجَمَت الفتاتانِ ونظرتَا لبعضهمَا، وهَمَّت ليلى بفتحِ فمهَا للكلامِ، فأتى لسمعهَا صَوْتُ جَلَبَة وصيَاحٍ ورجلٌ يقولُ: سيدَتِى.. سيدتى.. لقد أتى خَادمُ السيدةِ العجوزِ وهو مُنْفعلٌ جدًّا. صَاحَتِ السيدةُ بخوفٍ قائلة:

- مَاذَا بكَ.. مَاذَا حَدَث؟

اندفعَ الخادمُ إلى دَاخِلِ البيتِ، ولمْ يُلقِ بالاً إلى الفتاتَيْنِ،وقد انْزَوَى خَالد وَرَاءَ ليْلى.. وقالَ وهُو يَلْهثُ سَيِّدتى:لقد استجَابَ اللّه لدعائك ياسيدتى.. لقَد تخلَّصْنَا مِنْ حكْم الملكِ الظَّالمِ إلى الأبد؟!صَاحَت السيدةُ غيرُ مُصَدِّقة:كيفَ حدثَ ذَلكَ؟!

أجابَ الخادمُ بسُرْعةٍ: لقدْ ذَهَبْتُ إلى المدينةِ، وفى السُّوقِ كَانَت الناسُ كلُّها تَحْكى كيفَ أنَّ ملكَ البلادِ المُجَاورةِ، أتَى للزيَارةِ ولم يجدْ فردًا واحدًا فى اسْتقباله فِاندهَشَ لذلكَ، وبعدَ استطْلاَعِ حَاشيته للقصْرِ، اكتشَفُوا أنَّ كلَّ مَنْ بالقصْرِ نيَام.. وعندمَا أشِيعَ هَذَا الخبرُ بينَ الناسِ، اندفعَ الفلاَّحونَ للدَّاخِل، وقَيَّدوا الملكَ والملكةِ وكُلَّ منْ بالقصرِ، وَرَموا بِهِم فِى السُّجون.

وقدْ طَلبَ الشعبُ منَ الملكِ العادلِ ضَمَّ البلادِ إلى مملكتهِ. هَلَّلَ الأطفالُ الثلاثةُ منَ الفرحةِ، فالتفَتَ الخادمُ إلَيْهم، ولاحَظَ وجودَ خالدٍ الذِى حَاول بدَوْرِهِ أنْ يتوَارَى وراءَ ريم وليلى ، ولكنْ بعدَ أنْ رَآه الخادمُ الذِى أخذَ يَفْركُ عيْنيْهِ غيرُ مُصَدِّق ما حدث، وصاحَ بخوفٍ سيدَتِى:

مَنْ هؤلاءِ الَّذِينَ أَدْخَلْتِهِم فى بيتِكِ وأنَا غيرُ موْجُود ومِنَ الممكِنِ أنْ يُلْحِقُوا بكِ الأَذَى؟

هنَا صَاحَت ريم قائِلةً: لاسَيِّدى.. نحنُ أطفالٌ مسَاكِين، وَرَاحَت تقصُّ عَليْهِما ماحدثَ لهُم ومنَ الحِينِ إلى الحينِ كانت ليلى وخالد يُضِيفَانِ بعضَ التفاصيلِ أوالتعْلِيقَاتِ فى حَمَاس. وهنَا انكشفَتِ الحَقِيقةُ وَاضِحةً أمامَ الجَمِيع.. ضَحِكَت العجوزُ قائِلَةً: يا إلهى هؤلاءِ الأطفالُ فَعَلُوا مَاعَجَزت عنه الجيوشُ وذلكَ بمسَاعَدَة اللَّه لهم.. وأَخَذَت تدعُو لهم، وأمَرت الخادمَ بتجْهِيزِ عَرَبةٍ صَغِيرةٍ لَهُم، يجرُّهَا حصانٌ قوِىٌّ ، وتزويدِهِم ببعضِ الطَّعَام ، وأنْ يذهبَ مَعَهم إلى المَدِينةِ حيثُ يقومُ بتَوْصِيلهم إلى أهْلِهِم .

ولمْ يَنْسوا أنْ يَضَعُوا حمَارَهم بجوَارِهِم فوقَ العربةِ، وكانَ مَنْظرهم طَرِيفًا ومُسَلِّيًا.

وقبل وُصُولهم إلى بُيُوتهم.. طلبُوا زيارةَ القصْرِ، وجَدُّوا الجموعَ بانتظارِ ريم وليلى، ذلك أنه بعدَ أنِ اسْتيقظَ النَّائمونَ بعدَ يَوْميْنِ مِنْ نَوْمهم عَلِموا جميعًا بما حَدَث، ومَا

فعلتْهُ الفتاتَانِ، وهُنَا أمْسَكَت الفتاتَانِ بخَالد، وَرَفَعوه عاليا وقَصُّوا عَلى أهلِ القريةِ قصةَ خالدصَاحِب الصوتِ العذْب.

واندفعَ والدا خالدواحتَضَنَاه والدُّمُوع تترقْرَقُ من عيونهمَا ويصيحَانِ: ظَننَّا أننَا فقدنَاكَ إلى الأَبَد. فمَا كَانَ من أهلِ القريةِ، إلاَّ أنْ هَنَّئُوا الوالديْنِ عَلى سَلاَمةِ ابنهمَا البطَل، صاحب الصَّوْتِ العَذْب.

ثم أسرعَ الجميعُ، وحملُوا الأطفالَ الثلاثةَ إلى الملكِ العادِلِ الرحيمِ، الَّذِى وَافقَ عَلى ضَمِّ هذِه القريةِ إلى مملكَتِهِ. ابتسمَ الملِكُ ابتسامَةً عَرِيضَةً ، وأمرَ الأطفالَ الثلاثةَ بالجُلُوس بجواره، واستدْعَى أهْلهم للإقامَةِ مَعَه بالقصْرِ؛ ليوَفِّرَ لَهُم كُلَّ أسبابِ الرَّاحة والنَّعِيم تعويضًا عَمَّا لحِقَ بِهِم منْ عَذَاب. كما أعَادُوا إلى كُلِّ مظْلُومٍ حَقه، وأتاحَ فُرَصَ العملِ والرزقِ للشَّعبِ المسكينِ الَذِى تبدَّلَ حَالُه إلى النَّعِيمِ والرَّخَاء. أمَّا الملكُ الظالمُ وأتباعُه فكانَ عِقَابهم السِّجْن الأَبَدِى، وتأْدِيبًا لَهُم أمرَ الملكُ العادلُ

بتعليمِ كُلِّ المسَاجينِ الظَّالمينَ صِناعَة الحَلْوى، وغَزْلِ ونَسْجِ وخيَاطَةِ الملابسِ خدمةً لكلِّ أهْلِ القرية.

وفِى أوَّلِ عيدٍ بالقريةِ كَانت القريةُ كلُّهَا ترفُلُ فِى مَلاَبس جَدِيدَة، وأقامُوا حفْلاً كَبِيرًا أكَلُوا فِيه أجودَ أصنافِ الحَلْوى، وكَانت العجوزُ المُسِنَّةُ تضحكُ -وزوجُهَا شيخًا مُسِنًّا بجوارهَا- بعد أنْ أطلقَ الملكُ العادلُ سَراحَه وأعَادَ إليه القصرَ السَّعِيد .

وَغَنَّى خَالد أجملَ الأغَانِى، ولكنه هَذِه المرَّة كانَ جالسًا بجوارِ المَلِكِ ولَيْسَ داخلَ أُذُنِ الحِمَار .

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٤٣١٦
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6489-X

٧/٢٠٠٣/٢٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)